شهدها التاريخ الأدبي منذ فجره حتى الآن ، فلم ينس أصحاب المحاكاة إمكانية الجمع بين الفنان والعالم من حيث ارتباط كل منهما بواقع يحكيه ، أو يتأثر به ، أو يعكس من خلاله رؤيته ، فكلاهما إنما يريد الواقع ، أو يجتهد فى تحليل شريحه منه ، ويجدّ فى البحث والتنقيب عن أسراره بأسلوبه الخاص .

وتبدو صورة الواقع غامضة - إلى حد كبير - فى سياق تلك النظرية التي توقفت عند حدود التمسك به من منطلق مرآوي أو منظور حرفى ، إذ قد يكتفي فيه بأن يعكس لنا مجرد صورة فوتوغرافية منه ، حيث يظل الأهم من ذلك أن تظهر تناقضات الواقع عبر تجلياته من خلال تلك الممارسات الجادة التي ينهض بها الفنان أو العالم ، فمع اتساع رقعة الواقع ، ومع اشتداد قسوته تزداد الحاجة إلى مزيد من التعرف عليه بالاقتراب منه ، الأمر الذى تنهض به أجيال من الناس فى ظلال ذلك الحلم القديم الذى انتهى إلى إمكانية جمع أطراف المعرفة في رجل واحد، مما يصبح غاية العبث أن نلتمسه فى عصرنا إزاء كل صور التخصص العلمى الدقيق ، وتلاشي هذه النظرية الشمولية أمامه تماماً .

على أن الذى يظل واضحا لايكاد يتحول أن ذلك الواقع قد تراءى للقدماء حين جمعوا بين الفكر العقلانى والحس الوجداني من خلال الفلسفة كفكر ، ومن خلال الشعر كتعبير عاطفى ، يعكس رؤى الواقع في لحظة امتزاجها بعقل الفنان وشعوره معا . ومن هنا كان انشغالهم بالنقد مع الفلسفة والشعر أمرا طبيعيا لم يُخل بأنظمة الحياة ، بقدر ما ضمن لها مزيدا من الاتساق والاستمرار فى ظلال متشابهة تجمع قوي الفكر المختلفة من خلال ذلك التوحدُ والتلاقى بين الضرورات ، فلم يصبح العالم فكراً خالصاً ولا ذوقا خالصا أو خيالاً عاريا من الحقيقة ، بل جاء الفكر مؤيدا بالفعل ، وكان لكل منهما أن يمر بحركة جدلية متفاعلة بين المعرفة والكينونة ، أو بين الحلم والواقع الخارجى على النحو الذى رصده تصورُ أفلاطون لجمهوريته الفاضلة ، وما كان من شروطه التى رصدها للشاعر لكى يسمح له بالانتماء إليها ، إذا ما تخلى عن تشويه الواقع من ناحية ، أو تحوّل إلى داعية للفضيلة من منطق العقل وتأصيل القيمة المطلقة من ناحية أخرى .

ومن هنا يتراءى لنا الواقع بمعناه العام منذ طرحت أولى النظريات النقدية (المحاكاة) ببُعْدَيْها الأفلاطونى والأرسطي على السواء ، بل لعل الجانب الثاني الذى عرضه أرسطو بدا